والتظاهر والاعلان) ، للتعبير عن مواقفها وكوسيلة للحصول على مطالبها . والقضية الثانية قضية مادية تعبر عن نفسها بالمطالب المهنية المختلفة ... » (ص ٥٣) .

ما هو دور النقابات والتنظيمات الجماهيرية في معركة التحرر الوطني والثورة المسلحة ؟ يؤكد الباحث على ان النقابة معنية بالصراع : أ ــ لكونها تمثل قطاعا شعبيا ، ب ــ لان مختلف القضايا الاجتماعية تصبح مرهونة بنتيجة الصراع المحتدم بين قوى الثورة وقوى الثورة المضادة ، اي ان المسألة الستراتيجية ــ حسم الصراع وتقرير المصير السياسي ــ تمتص في هذه المرحلة كافة القضايا الاخرى (ص ٥٥) . وهذا ينطبق كليا على الظروف الفلسطينية . ان مسألة القهر القومي وطغيان القضية السياسيةعلى غيرها في العمل النقابي صارخة الوضوح ، حتى في مرحلة ما قبل النكبة عام ١٩٤٨ . « قبل عام ١٩٤٨ ، كان يستحيل حل المسألة الاجتماعية في ظل الاستعمار البريطاني والغزو الصهيوني المتزايد . وفي الواقع الذي حصل بعد النكبةوما حصل من تفكك وانهيار للمجتمع الفلسطيني ، بات واضحا انه من غير الممكن اصلا حل المسألة الاجتماعية في ظل هذا الواقع وخارج الارض الفلسطينية » (ص ٥٩) . لقد جعل هذا الواقع النضال النقابي الفلسطيني يختلف كلية عن غيره من النضال النقابي في البلدان النامية الاخرى ، فالعملالسياسي ، في الاخيرة ، لاحق على العمل النقابي . في الواقع الفلسطيني، النضال المطلبي ثانوي ، حيث « العمل النقابي لاحق على العمل السياسي » (ص ٦١) .

(تنبغي الاشارة الى ان هذا الفصل الثاني مليء بالتعاميم وبالنتائج النظرية الكبيرة ، التي كان من الضروري التوقف حيالها والتأني في الحكم عليها ، وما يغفر للكاتب هو ان طبيعة الدراسة وحجمها لا يحتملان كثيرا من التشعبات والتفرعات الجانبية) .

في الفصل الثالث « حول الحركة النقابية الفلسطينية » ، يناقش الباحث اسباب تميز الحركة النقابية الفلسطينية وخصوصياتها : تجزؤها نتيجة التوزع الجغرافي للشعب الفلسطيني ، بالاضافة الى طبيعة النظام الصهيوني الذي يواجهه ، والانظمة الاخرى التي « لجأ » الى مجتمعاتها ، فصارت القوانين التي تسن في فلسطين لا توضع كي تطبق عليه ، والقوانين الاخرى في المجتمعات العربية لا تنطبق عليه ــ يستثنى من ذلك سوريا جزئيا ــ ، والفلسطينيون ليسوا مستهدفين بها على كل حال .

من هنا تجد الحركة النقابية الفلسطينية نفسها حيال اوضاع شديدة الخصوصية ، كما تجد نفسها مطالبة باستنباط وسائلها الخاصة للتعامل مع الاوضاع السياسية ــ الاجتماعية السائدة . خصوصية هذا الوضع النقابي وتميزه « ميز ايضا مهمة النقابة الفلسطينية تجاه الثورة » (ص ٦٥). ولان الفلسطينيين مفصولون عن المجتمع الصهيوني وخارج مؤسساته ، فان الجانب « السلبي » للنضال النقابي ، بمعنى استخدام النضال المطلبي كسلاح سياسي لاضعاف النظام ، يكاد يكون معدوما في الساحة الفلسطينية (باستثناء الاردن) .

بهذا ، تتحدد ملامح التنظيم النقابي المطلوب ، في انه « تنظيم جماهيري يتصدى لمهمة سياسية ــ اجتماعية تهدف الى تنظيم اوسع القطاعات الشعبية وتنسيق جهودها لتدعيم الثورة وتصعيدها» (ص ٦٦) ، ولذلك تغدو مهماته كما يلي : ١ــ مهمة سياسية ، اعداد الجماهير لخوض النضال السياسي الذي يكمل العمل القتالي للثورة . ٢ ــ مهمة اجتماعية ، تهدف الى اقامة تجربة حياتية جديدة . ٣ ــ مهمة مطلبية . ٤ ــ مهمة تنظيمية .

ويظل القسم الاهم من الدراسة ، بتقديري الشخصي، هو قسم « ملاحظات نقدية حول واقع الحركة النقابية الفلسطينية » ، حيث يحصر الباحث ملاحظاته في ملاحظتين اثنتين ، الاولى ، هي ضعف البنية التنظيمية، وتتمثل في ١ ــ قلة عدد الاعضاء ، ٢ ــ ضعف التماسك الداخلي ، ٣ ــ التداخل بين الولاء النقابي والولاء التنظيمي . اما الثانية ، فعلى صعيد النشاط العام ، حيث « نلاحظ ان هذا النشاط يتركز على الاعلام الخارجي على حساب التوجه نحو التجمعات السكانية » (ص ٩٠) ، مع ان المفروض ان يحصل العكس ، على اعتبار ان « المهمة التاريخية التي يمكن لتنظيماتنا الجماهيرية ان تؤديها تأتي من خلال اسهام هذهالتنظيمات في اقامة تجربة حياتية